(٧٧) إبراهيم القِرْميسيني[١]

ذِكر الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن شيبان القِرْميسيني رحمه الله:

كان رحمه الله شيخًا في وقته، مُشارًا إليه، محمودَ الأوصاف، مقبولَ الطريق.

وله في المُجاهدةِ والرياضة والتقوى والورعِ شأنٌ عظيم، حتى قال عبد الله بن المنازل[٢]: إن إبراهيم بن شيبان حجّةُ الله على الفقراء وأهل الآداب والمعاملات، وكاسرٌ لأعناق المُدّعين.

وكان رحمه الله رفيعَ القدر، عالي الهمَّةِ، وصاحبَ وجدٍ كامل، ومراقبةٍ دائمةٍ، وله أوقاتٌ محفوظة.

نقل أنه قال: لازمتُ الشيخَ أبا عبد الله المغربي رحمه الله أربعين عامًا، وما أكلتُ مأكولَ الخلائق أبدًا، ولم يطلْ شعرُ رأسي ولا أظفاري، ولا توسَّخَتْ خرقتي، ولا بتُّ تحت سقفٍ في هذه المدة.

ونقل أنه قال: كنتُ بالشام، وجاءَ إليَّ يومًا شخصٌ بقصعةِ عدسٍ، فأكلتُ ودخلتُ السوق، فرأيتُ في موضعٍ دنانَ خمرٍ، فقال الخمَّارُ: لماذا تنظرُ إلى الخمر؟ قلت: فالآن وجبَ عليَّ إراقتُهُ. فشرعتُ في الإراقة، والخمّارُ واقفٌ ينظرُ إليَّ، ويظنُّ أنّي إنّما أعملُ بأمرِ السلطان، فلمّا فرغتُ من الإراقة علمَ

---

(١) طبقات الصوفية ٤٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، الرسالة القشيرية ١٠٦، الأنساب ١٠/ ١١٠، مناقب الأبرار ٧٥١، المنتظم ٦/ ٣٩٠، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٦٢، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٦٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٢، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ٢١، نفحات الأنس ٣١٥، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، الكواكب الدرية ٢/ ٩، شذرات الذهب ٢/ ٣٤٤. والقرميسيني نسبة إلى قرميسين، مدينة بجبال العراق على ثلاثين فرسخاً من همذان عند الدينور، يقال لها: كرمان شاهان. اللباب.

(٢) الأصل: عبد الله بن المبارك. والمثبت من مصادر الترجمة.

الخمّارُ أنّي فعلتُ ذلك من تلقاء نفسي، فأخذني، وذهب بي إلى ابن طولون، وضربوني مئتي جلدة، وحبسوني، وبقيتُ في السجن مدّةً إلى أن جاءَ الشيخُ أبو عبد الله المغربي، وشفع فيَّ، وأخرجوني من السجن، وأطلقوني، فقال الشيخ: كيف وقعتَ في هذه الواقعة؟ قلت: أكلُ العدس، وضرب المئتين، والسجن. فقال الشيخُ رحمه الله: اذهبْ، فإنّك خلصتَ مجّانًا.

نقل أنه قال: كانتْ نفسي تشتهي لقمةً من اللحم المشويِّ ستين سنة إلى أن قويتِ الشهوةُ، وعظمتِ الرغبةُ، وفني الصبر، ويومًا شممتُ رائحةَ الشويِّ، فتضرَّعَتِ النفسُ، وطلبتْ، وأمرتني بأن أذهبَ خلف الرائحة، وأُحصّلَ شيئًا من الشواء، فذهبتُ، فإذا إنسانٌ يعاقب بالكيِّ، والرائحةُ إنّما كانت من ذلك الكيِّ، ففزعَتْ نفسي، ورضيَتْ بالحرمان، وقنعت بالسلامة.

نقل أنه قال: كلّما كنتُ أحجُّ البيتَ ـ شرَّفه الله تعالى ـ كنتُ أولاً أزورُ روضةَ النبيِّ عليه السلام، وبعد الحجِّ كنتُ أَرجعُ إلى المدينة، وأزورُها ثانيًا، وفي كلِّ نوبةٍ أَقولُ: السلامُ [عليك] يا رسول الله، وأسمعُ من الروضة الشريفة: عليك السلام يا بن شيبان.

ونقل أنه قال: دخلتُ الحمام يومًا، وشرعتُ أصبُّ الماءَ على جسدي، فإذا أنا بشابٍّ جميلٍ مثلِ البدر من زاوية الحمام، صاح عليَّ، فقال: كم تصبُّ الماء على ظاهرك، فاصببْ نوبةً على باطنك. فقلت: أجنّيٌّ أنتَ أم أنسيٌّ بهذا الجمال؟ قال: لا، بل أنا النقطةُ التي تحت الباء من: بسم الله. قلت: لك هذه المملكة؟ قال: يا إبراهيم، اخرجْ من أنيّتِكَ، فتر مملكةً ما ترى مثلها.

نقل من كلامه قال: علمُ الفناء والبقاء يدورُ على إخلاصِ الوحدانية وصحّةِ العبودية، وما سواهما فيوقعُ الإنسانَ في الغلطِ والزندقة.

وقال: من أرادَ أن يصيرَ حرًّا عن الكون، فليعبدِ اللهَ بالإخلاص، فإنَّ من تحقَّقَ في عبوديةٍ فلا شكَّ أنه يصيرُ حرًّا عمّا سواه.

وقال: من تكلّمَ في الإخلاص وهو غافلٌ عن النفس، فاعلمْ أنَّ الله تعالى سيبتليه بشيءٍ يفضحُهُ بين أقرانه.

وقال: من تركَ خدمةَ المشايخ والتواضعَ لهم، يُبتلى بالدعاوى الكاذبة، ثم يُفتضحُ فيها.

وقال: من أراد أن يتعطّلَ ويَتبطّلَ، فليعملْ بالرُّخص.

وقال: السِّفْلَةُ من يعصي اللهَ عزَّ وجلَّ ولا يخافه.

وقال: السِّفْلَةُ من يمُنُّ بالعطاءِ على من يُعطيه.

وقال: الشرفُ في التواضع، والعزُّ في التقوى، والحريةُ في القناعة.

وقال: متى استقرَّ الخوفُ في القلب، يحترقُ موضعُ الشهوات، ويتركُ الرغبةَ في الدنيا.

وقال: التوكُّلُ سرٌّ بين الله وبين العبد، فالأولى أن لا يَطَّلعَ على هذا السرِّ غيرُ الله.

وقال: للعبدِ المؤمن في الدنيا شيئان ممّا يكونُ لهما في الآخرة في الجنة: الأول: الجلوسُ في المسجد، والثاني: النظرُ في وجوه الإخوان.

وقال له شخصٌ: أوصني. فقال: اذكرِ الله ولا تنسَهُ، وإن لم تقدرْ على هذا فلا تنس الموتَ، واذكرْه دائمًا.

رحمه الله وحشرَهُ مع الأبرار الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

ونسأل الله تعالى أن يَحشرَنا في زمرتهم برحمته ومنِّه وكرمه، وأن يُصلّي على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحابته أجمعين.

* * *